الأرض الموعودة وتطويع المقدس في نصوص التوراة

أ.د.موسى معيرش

جامعة عباس لغرور خنشلة

مقدمة:

يعتبر فلاسفة وعلماء السياسة أن الإقليم Territory، يمثل الركن الثاني من أركان الدولة، فالأرض مسألة حاسمة وضرورية لتكوين الدولة، لا يمكن الاستغناء عنها في تأسيس الدولة، وفي هذا السياق يقول الباحث عبد المعز نصر في كتابه في النظريات والنظم السياسية: " لا شك في أنه بدون إقليم ثابت لا يمكن أن تقوم دولة... ولا يمكن أن يقال أن شعبا بدويا يكون دولة"؛[1] إذ لا بد لهذا العنصر البشري أن يكون مستقرا في مكان ما، يمارس فيه حياته الطبيعية بأشكالها المختلفة.

بهذا نستطيع القول أن الإقليم من أركان الدولة ومقومات وجودها، ولابد هنا من الإشارة إلى أن هذا الأخير يشمل الأرض والأنهار والبحيرات والفضاء الجوي. فهل عرفت اليهودية فكرة الإقليم، أو بالأحرى هل قدمت مفهوما خاصا للإقليم ؟ هذا ما سنحاول الحديث عنه ومناقشته فيما يأتي من مطالب.

---

1 محمد عبد المعز نصر: **في النظريات والنظم السياسية**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص23.

المطلب الأول: أرض الميعاد.

للوقوف على مدى معرفة بني إسرائيل بفكرة الإقليم، نحتاج للرجوع إلى الكتابات المتخصصة في هذا المجال، فهي الكفيلة بتقديم رؤية دقيقة عن هذا الموضوع، وهو ما نجده مثلا عند الباحث المتميز في الدراسات الفكرية والفلسفية اليهودية عبد المنعم الحفني الذي يذهب إلى أن الأرض تعد أحد الأسس التي تقوم عليها اليهودية كعقيدة وكنظام حياة[1].

بهذا نستطيع القول أن موضوع الأرض، يمثل الأساس الثاني الذي تقوم عليه اليهودية سواء أكانت كدين أو كنظام حياة، يرتكز عليها النظام السياسي والاجتماعي اليهودي بصورة أدق، حيث نجد هذه الديانة تقوم على فكرة أرض الميعاد، والمقصود بذلك أن الربّ يهوه قدم وعدا للآباء الأوائل، وعلى رأسهم إبراهيم، إسحاق ويعقوب بإعطائهم أرض فلسطين، مما جعلها تعرف في أدبياتهم الدينية والسياسية بأرض الميعاد.

أولا: حقيقة الوعد

الدارس للتراث الديني اليهودي بعامة وما ورد في التوراة بخاصة يجد أنه أمام أنواع مختلفة من الوعد، أقصد أنه لا نجد وعدا خالصا صريحا بهذه المسألة، وإنما يجد أن مسألة إعطاء فلسطين لليهود مرت بمراحل مختلفة أو على الأقل بصيغ مختلفة، بغض النظر عن حقيقة هذا الوعد الذي يجعل شعبا يمتلك أرضا بمقتضى الحق الإلهي المقدس،

[1] ـ عبد المنعم الحفني: **موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية،** مكتبة مدبولي القاهرة ص242.

فإن المتتبع لهذه المسألة يطرح مجموعة من الأسئلة تحتاج إلى بعض التوضيح ولعل أهمها، لمن هذا الوعد؟ وهل لهذه الأرض ضوابط؟ وأخيرا هل هذا الوعد نهائي أم مشروط؟

للإجابة عن السؤال الأول نقول إن أول إشارة لهذا العهد نستخلصها من أول أسفار التوراة، نقصد بذلك سفر التكوين، حيث نجد فيه إشارة صريحة بتقديم أرض أو بالأحرى قطعة من أرض فلسطين لإبراهيم: " **وسار إبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الربّ لإبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض، فبني هناك مذبحا للرب الذي ظهر له، ثم تنقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت أيل ونصب خيمته... فبني هناك مذبحا للرب ودعا باسم الربّ، ثم ارتحل إبرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب**"[1].

كما نجد إضافة إلى ما سبق تحديد هذه الأرض في قول الربّ لإبرام كما نقل ذلك سفر التكوين في قوله:" **لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات**"[2]. في تناقض غير مبرر مع نصوص التناخ، يعتقد اليهود أن هذا الوعد أعطى هذه الأرض لهم دون سواهم من البشر، لكن المتمعن في هذا الوعد حسب نصوص التناخ المقدسة، يلاحظ أنه لم يعطِ لهؤلاء فحسب، وإنما أعطى لنسل إبراهيم بصورة عامة، وهذا الأخير أنجب العديد من الأبناء، فعلاوة على إسحاق بن سارة، نجد الابن البكر إسماعيل بن هاجر، الذي أكد يهوه لإبراهيم على أنه معني أيضا

[1]. تكوين : 6/15، 7، 8، 9.

[2]. تكوين :18/15.

وبصورة مباشرة بهذا الوعد: " **فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك** "[1].

فهذا الوعد إذا سلمنا بصحته ،لم يكن خالصا لليهود فقد كان لكل أبناء إبراهيم، هذا ما يذهب إليه الباحث في اليهودية صابر طعيمة، حيث نجده يؤكد أن الوعد الذي قطعه الرب لإبراهيم، كما يذكر سفر التكوين والمشار إليه في الإصحاح السابع عشر منه بإعطاء أرض كنعان ملكا أبديا، كان قبل ولادة إسحاق وهذا ما يعرف بعهد الختان[2]، وتضيف أبكار السقاف في كتابها إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة: " أن مؤلف سفر التكوين لم يكتف بإعطاء منطقة محددة من الأرض لنسل أو إنما حاول في مرحلة أخرى أن يحول الوعد لإبراهيم نفسه"[3]. هذا ما يفهم من سفر التكوين حينما يقول: " **الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد وأجعل نسلك كتراب الأرض... قم أمش في الأرض طولها وعرضها لك أعطيها، فنقل إبرام قيامه وأتى وأقام عند بلوطيات ممرا التي في جرون، وبنى مذبحا للرب**" [4].

إذا عدنا لموضوع عهد الختان، نجد سفر التكوين يعترف أن هذا الوعد تم قبل ولادة الابن الثاني لإبراهيم إسحاق نفسه بفترة زمنية ليست قصيرة :"**وكان إبراهيم ابن**

---

[1]. تكوين :12/21.

[2]. صابر طعيمة : **تاريخ اليهود العام**، الجزء الأول، دار الجيل بيروت,ط3 ص319.

[3]. أبكار السقاف : **إسرائيل وعقيدة الأرض** الموعودة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1997.

[4]. تكوين : 14/13، 15، 16، 17، 18.

تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته. وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه. وكل رجال بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه"[1] .

ثانيا: الإقصاء الممنهج:

لتوجيه هذا العهد وجهة تتناسب مع رغبات اليهود المتأخرين، عمل مدونوا التوراة على وضع نصوص تحاول حصر الوعد في إسحاق دون غيره من أبناء إبراهيم كما يبرزه هذا النص: " **سارة امرأتك تلد ابنا وتدعوا اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهدا أبويا لنسلك من بعده** ".

بغض النظر عن محاولة إبعاد لوط فإن هناك محاولة حصر العهد في إسحاق ومحاولة استبعاد إسماعيل وبقية إخوته من أبيه، أقصد بذلك أبناءه الآخرين من قطورة، وتماشيا مع نزعة الإقصاء نجد الوعد يحصر في أحد أبناء إسحاق وهو يعقوب ويستبعد عيسو الابن البكر بكيفية لا تمت للقيّم الأخلاقية بصلة.

هذا ما نجده في النص التالي من سفر التكوين :" **وحدث لما شاخ اسحق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا ابني. فقال له ها أنا ذا فقال أنني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتي. فالآن خذ عدتك جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لي صيدا. واصنع لي أطعمة كما أحب وآتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيدا ليأتي به وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة إني قد سمعت أباك يكلم عيسو**

[1]. تكوين : 24/17. 27.

أخاك قائلا. ائتني بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي. فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا آمرك به

إذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى. فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب. فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لرفقة أمه هو ذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس. ربما يجسني أبي فأكون في عينيه كمتهاون وأجلب على نفسي لعنة لا بركة. فقالت له أمه لعنتك علي يا ابني. إسمع لقولي فقط واذهب خذ لي فذهب وأخذ وأحضر لأمه. فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب. وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر. وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى. وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها فدخل إلى أبيه وقال يا أبي. فقال ها أنا ذا. من أنت يا إبني. فقال يعقوب لأبيه أنا عيسوا بكرك. قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك.

فقال إسحاق لابنه ما هذا الذي أسرعت لتجد يا ابني. فقال أن الرب إلهك قد يسر لي. فقال إسحاق ليعقوب تقدم لأجسك يا ابني. أأنت هو إبني عيسوا أم لا. فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه. فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه فباركه وقال هل أنت هو ابني عيسو. فقال أنا هو. فقال قدم لي لأكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي. فقدم له فأكل. وأحضر له خمرا فشرب. فقال له إسحاق أبوه تقدم وقبلني يا ابني. فتقدم وقبله. فشم رائحة ثيابه وباركه. وقال انظر. رائحة إبني كرائحة حقل قد باركه الرب. فليعطك الله من ندى السماء. ومن دسم الأرض.وكثرة حنطة وخمر. ليستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائل.كن سيدا لإخوتك. وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين. ومباركوك مباركين وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب ويعقوب قد خرج من لدن إسحق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيده. فصنع

هو أيضا أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك. فقال له إسحاق أبوه من أنت. فقال أنا ابنك بكرك عيسو. فارتعد إسحاق ارتعادا عظيما جدا. وقال فمن هو الذي أصطاد صيدا وأتى به إلي فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته. نعم ويكون مباركا فعندما سمع عيسوا كلام أبيه صرخ صرخة عظيم"[1].

مواصلة لعملية الإقصاء المنظم تذهب التوراة إلى هدفها النهائي وتصل إلى غايتها، لتعلن أنها تحصر الوعد في أبناء يعقوب المعروف بإسرائيل دون سواهم وتستبعد أبناء عيسوا الابن البكر لإسحاق، هذا ما يوضحه إيريك شنيدر، عندما يعتبر أن الهجرة نحو مصر اقتصرت على يعقوب وأبنائه بغية الالتحاق بيوسف الذي أصبح نائبا لفرعون مصر[2]، كما نجد كلود موسى يذهب هو الآخر هذا المذهب عندما يرى أن الهجرة لم تشمل العبرانيين جميعا وإنما شملت يعقوب وأبناءه فقط[3].

هذا التوجه يؤكده السفر الثاني من أسفار التوراة، المسمى بالخروج حينما يقول: " **في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر في ذلك اليوم جاءوا إلى برية سيناء. ارتحلوا من رفيديم وجاءوا إلى برية سيناء فنزلوا في البرية. هناك نزل إسرائيل مقابل الجبل وأما موسى فصعد إلى الله. فناداه الرب من الجبل قائلا هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل. أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إلي. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تكلم بها بني**

[1]. تكوين :1/27. 28.

[2] Erik Sneinandre : **La Lois de la pensée**, Clartes, Paris,1976, T2, p16230

[3] Claude Mousse et des autres **Histoire du monde L’antique**, Bordas, Paris, P 135·

إسرائيل فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التي أوصاه بها الرب. فأجاب جميع الشعب معا وقالوا كل ما تكلم به الرب نفع"[1].

في موضع آخر من الخروج نجد وعدا آخر تأكيديا بإعطاء الأرض لكن هذه المرة في إحدى الوصايا العشر:" **أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك**"[2].

بهذا نستطيع القول أن التوراة تعمل على تقديم أرض فلسطين لليهود بأي شكل وطريقة. وهذا ما يفهم من تتبعنا لمختلف المراحل، حيث وجدناه يبدأ بإبراهيم وذريته، لتبدأ عملية حصر العهد تدريجيا ،بكيفية تبين أن القائمين على تدوين التوراة وجدوا صعوبة كبيرة في تحويل هذا العهد من وعد لإبراهيم وذريته بصورة عامة إلى ذريه حفيد من أحفاده، دون سبب حقيقي أو تبرير مقنع.

المطلب الثاني: حدود الوعد وشروطه.

مما سبق نستخلص أن الوعد أصبح مقصورا على أبناء يعقوب العائدين من مصر دون غيرهم، إلا أن المتمعن في هذه النصوص يجد أنها ليست مطلقة وإنما هي مرتبطة بشيء ما، أقصد أن العهد يكون بين طرفين، وهنا الطرف الأول ممثل في الرب والثاني ممثل في بني يعقوب، لكن هذا الوعد مقرون بشروط محددة، نجدها صريحة في ما يعرف بالوصايا العشر والتي تلغي الوعد مباشرة في حالة عدم التزام بني إسرائيل بشروط، وهذا ما نجده معبرا عنه بوضوح على النحو التالي:

---

[1]. الخروج :2/19.

[2]. الخروج:12/20.

. عبادة الإله يهوه دون غيره من الآلهة الأخرى.

. الامتثال للأوامر والنواهي التي أصدرها يهوه لبني إسرائيل.

. حفظ العهود التي قطعها بني إسرائيل ليهوه.

. إكرام الوالدين.

. إقامة علاقة طيبة وحسن جوار بين أبناء إسرائيل أنفسهم.

لكن هل التزم بني إسرائيل بهذه الشروط أم لا؟ إذا كان هؤلاء لم يلتزموا بهذه الشروط، فهل ألغى الرب الوعد، وبالتالي فإن الميثاق المعقود يصير باطلا. والواقع أننا إذا تتبعنا أسفار التوراة نجدها تؤكد أن مسألة عدم التزام بني إسرائيل بالشروط السابقة لا يحتاج إلى نقاش ولا ينكرها هؤلاء أيضا.

فإذا عدنا للشرط الأول، فهل نجد هؤلاء يلتزمون بعبادة الرب يهوه دون غيره، أم أنهم تخلوا عن عبادته وأشركوا به؟ الواقع أنّ الجواب عن هذا السؤال نجده في مختلف أسفار العهد القديم، حيث تذكر العديد من أسفاره أن الإخلال بهذا العهد كان واضحا، حيث عبد الكثير من الإسرائيليين آلهة أخرى لعل أهمها: العجل الذهبي الذي صنعه هارون حسب رواية سفر الخروج التى نجدها على النحو التالي: " **ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون. وقالوا له قم أصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هرون أنزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هرون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا. فقالوا هذه الهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هرون بني مذبحا أمامه. ونادي هارون وقال غدا عيد للرب.**

فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب فقال الربّ لموسى إذهب أنزل. لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر. زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه ألهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر.

وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة. فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم. فأصيرك شعبا عظيما. فتضرع موسى أمام الرب إلهه. وقال لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة. لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض. أرجع عن حمو غضبك وأندم على الشر بشعبك. اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثّر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض الذي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد. فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه"[1].

بغض النظر عن التناقض في شخصية هارون التى تحولت من شخصية داعية لعبادة يهوه إلى شخصية تدعو إلى تغيير الإله المعبود، فإن إخلال بنى إسرائيل ككل بأول شروط العهد الذي التزموا به لا يحتاج إلى نقاش.

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الحادثة وأولاها حقها من الاهتمام، لكنه في الوقت نفسه رواها بشكل مختلف في بعض تفاصيلها، فالذي صنع العجل رجل من اليهود يطلق عليه اسم السامري وليس هارون. وهو ما يبرى هذا الأخير، رغم عتاب موسى له بعد عودته.

---

[1]. خروج :1/32.

هذا ما تعبر عنه الآيات التالية من سورة الأعراف: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ
مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ
وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ
يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ
غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ
وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا
تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي
وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ
غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[1].
كما أشار تعالى أيضا إلى نفس الموضوع في سورة طه حينما قال: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ
فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ
أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ
أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا
مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ
﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾

---

[1]. طه: 85 – 101

أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ »[1].

بدلا من أن يقوم يهوه بإلغاء الوعد، نجد مؤلف سفر العدد يعمل على إيجاد تبريرات للمحافظة عليه ويحاول أن يجد حلا لهذا الإشكال، وهذا بمنع الخطاة من الاستمتاع بالأرض المقدسة: " **الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يبرئ بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع. أصفح عن ذنب هذا**

[1]. طه: 85 - 101

الشعب كعظمة نعمتك وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى ههنا. فقال الربّ قد صفحت حسب قولك ولكن حي أنا فتملأ كل الأرض من مجد الرب. أن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية وجربوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولي لن يروا الأرض التي حلفت لآبائهم. وجميع الذين أهانوني لا يرونها. وأما عبدي كالب فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى وقد اتبعني تماما أدخله إلى الأرض التي ذهب إليها وزرعها يرثها"[1].

لكن ألا يحق لنا أن نتساءل هنا إذا ما كان هؤلاء قد ارتكبوا خطايا حرمتهم من دخول الأرض، فلماذا يمنع موسى وهارون وبقية الذين لم يرتدوا عن عبادة ربهم من دخولها ولم يرتكبوا الخطايا التى ارتكبها غيرهم؟ وبصورة عامة فإننا لا نجد جوابا منطقيا لهذا المنع، ويفسر إيريك شنيدر عدم دخول الإسرائيليين إلى أرض فلسطين رغم الخروج من مصر والتوجه نحوها بكون هذا الشعب لم يكن مؤهلا لذلك بسبب عقلية العبودية المسيطرة عليه والتي تكونت له من أزمان طويلة، كما أن الأرض نفسها غير مؤهلة لحد هذا الزمان لاستقبال أناس أحرار، لأن هذه الأرض كانت تحت السلطة المصرية ويسكنها الكنعانيين[2].

ويبدو أن هذا التبرير يحتاج هو الآخر إلى ما يبرره وبصورة عامة إذا ما كان الأمر كذلك فلماذا يخرج هؤلاء ويفرون من المصريين وبعد مخاطر كثيرة ليسكنوا أرضا أخرى تحت نفس السلطة.، وبالتالي فإن هذا التبرير يدفعنا إلى أن نثير جملة من التساؤلات، أهمها إذا كان يهوه يجهل استعداد الشعب العبري للحياة الحرة، لماذا أخرجه من مصر؟

---

[1]. العدد: 14/18. 23.

[2] Erik Sneinandre : **La Lois de la pensée**, p 16230.

الأمر كذلك إذا كانت الأرض ليست مؤهلة بسبب السيطرة المصرية عليها، فلماذا وعد بها الرب موسى، ثم ماذا لو لم يخطئ بنو إسرائيل في حق الرّب، ألم يكن مقدرا لهم دخول الأرض الموعودة؟ ثم ألم يدمر الجيش المصري ويغرق مع قائده وملكه فرعون حسب رواية سفر الخروج نفسه؟ فلماذا الخوف من قوة ضعفت ومن سلطة سقطت ومن خطر زال؟ هذا لا يعني أننا نشكك في عملية الخروج ككل.

إنما نشكك في التبريرات التي قدمت لبقاء بني إسرائيل في صحراء سيناء طيلة هذه المدة الطويلة من جهة، واقتصار الوعد على العائدين أو بالأحرى الفارين من مصر دون غيرهم من أبناء إبراهيم من جهة ثانية. وهنا يتبادر إلى أذهاننا سؤال في غاية الأهمية، يتعلق أساسا بالكيفية التى دخل بها هؤلاء أرض فلسطين، فهل كان الدخول سهلا أم كان مكلفا؟ هذا ما نحاول الإجابة عنه في المطلب الموالي.

المطلب الثالث: الدخول إلى فلسطين.

المتابع للتناخ بعامة وبعض أسفارها بخاصة، من حجم التناقض والتساؤلات التي تنتج عن ما تكشف عنه من معلومات يتبيّن مدى الجرائم التي تعبر عنها هذه الأسفار، ولعل أهمها وأخطرها، وأكثرها إثارة للجدل، ما يعرض السفر السادس ونقصد به سفر يشوع بن نون.

فقد وجدنا من ضمه إلى كتب التوراة الخمسة، وجعل منه سادسها، والأغرب أن ينسب ما فيه إلى شخصية توصف بالقرب من نبي مثل موسى، وهي شخصية يوشع بن نون، كل هذه الجرائم التي أرتكبت أثناء عملية اقتحام أرض فلسطين.

حيث نجد هذا السفر يفتتح بتأكيد استمرار وعد يهوه لبني إسرائيل، وتحول خادم موسى إلى قائد عسكري ومتلقي للوحي، الذي يقوده ويقدم له دعما لم يقدمه من قبل للنبي موسى حيث يقوم بتحديد مناطق تحركه، ويحدد له حدود الأرض التى وعد أسلافه بها:" **وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا. موسى عبدي قد مات. فالآن قم أعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل .كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى. من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تحكمكم. لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك. كما كنت مع موسى أكون معك. لا أهملك ولا أتركك تشدد وتشجع. لأنك أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التي حلفت لآبائهم أن أعطيهم**"[1]

إذا عدنا لموضوع الأرض نجد سفر يوشع بن نون يتحدث عن الدخول إلى أرض فلسطين واستقرار بني إسرائيل فيها، بعد أن قسمت هذه الأرض بينهم عن طريق القرعة، وهذا ما يذهب إليه إيريك شيندر حيث يرى أن يوشع قام بتقسيم الأرض التي احتلها بين أسباط إسرائيل بالتساوي[2].

يشير التناخ إلى هذه المسألة بقوله " **فهذه الأرض التي امتلكها بنو إسرائيل في أرض كنعان، نصيبهم بالقرعة كما أمر الرب عن يد موسى**"[3]، بطبيعة الحال فإن امتلاك هذه الأرض كان نتيجة للقوة والاغتصاب، وبعد عملية إبادة قام بها يوشع وأتباعه وهو ما

---

[1]. يوشع بن نون : 6.1/1.

[2]Erik Sneinandre : **La Lois de la pensé**, p3 16230

[3]. يوشع بن نون:21/14.

نجده مفصلا في السفر الذي يحمل اسمه، والذي يأتي في الترتيب والأهمية بعد ما يطلق عليه اليهود بأسفار التوراة أو كتب موسى الخمسة.

وننصح القارئ الكريم بالعودة إلى نصوص سفر يوشع بصورة خاصة ففيها تفصيل ذلك، غير أن هذا لا يعنى أننا نتقبل كل ما جاء في هذا السفر ونحمله محمل التصديق، وإنما نريد أن نذكر أن هذه العقلية الدينية التى تتحكم في أتباعها، تعطى لمعتنقيها أمل التفوق حتى لو كان هذا الأمل يؤدي بصاحبه في الأخير إلى عواقب سيئة.

المطلب الرابع: الأرض المقدسة.

مما سبق نصل إلى أن الركن الثاني الذي تقوم عليه اليهودية كدين ودولة هو قداسة الأرض، ولا يقتصر هذا التأكيد على التناخ، وإنما يتعدى ذلك إلى التلمود. الذي يعد المصدر الشفهي لليهودية. ونتيجة لهذه الأهمية لابأس من الاستئناس حيث نجده يذهب إلى أن من: " يحيا خارجها لا إله له، والمؤمن فيها نبي"[1].

بينما يعتبر عبد المنعم الحفني أن اليهودية بهذا تخلط: "بين الأرض والشعب وبين لتاريخ المقدس حتى ليبدو التاريخ وكأن الله قد حل فيه... فصارت بداية التاريخ هو العهد... ونهايته ظهور المسيح أو المهدي المنتظر وإقامة حكومته على الأرض"[2].

هذه الأرض ستكون في النهاية مركز السلطة السياسية لكل سكان الأرض "**في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال، وغرس الله**

[1]. نقلا عن معيرش موسى : **جدل الديني والسياسي**، دار بهاء الدين سنة 2010 ،ص177.

[2]. عبد المنعم الحفني : **موسوعة فلاسفة متصوفة اليهودية**، ص243.

كل الأمم وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبيله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب فيقضي بين الأمم "[1].

الملاحظ أن فكرة الأرض بالنسبة للفكر الديني التوراتي تلعب دورا بارزا في الربط بين الشعب والأرض، هذا ما جعل هيرمان Herman يقول :"تاريخ إسرائيل مرتبط عضويا بالأرض ذاتها أو بالأحرى الأرض التي حدث فيها هذا التاريخ، وهذا هو بالفعل ما حدث مع شعب إسرائيل في العهد القديم، بإمكاننا أن نرى بدايات إسرائيل الأولية في شمال سوريا والعراق القديمة من جهة وفي شمال مصر من جهة أخرى، قبل أن تجد إسرائيل وطنا في فلسطين أرض الميعاد "[2]، هذا ما جعل الكتابات العبرية تتغزل فيها وتطلق عليها مجموعة كبيرة من الأسماء، منها على سبيل المثال لا الحصر فهي أرض إسرائيل، أرض التوراة، إسرائيل، يهوذا، كنعان، شرق الأردن، فلسطين، السورية[3].

أخيرا بقت لنا بعض الملاحظات التي لابد من توضيحها، منها أن العهد المقطوع لإبراهيم لا يقتصر على بني إسرائيل، وهذا ما يعترف به سفر التثنية حينما يذهب إلى ضرورة المحافظة على الموابين لأن الرب كان قد أعطى لوطا أرضا ووعده هو الآخر :" **فقال الرب لا تعاد مواب ولا تشن عليهم حربا لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثا لأني لبني**

---

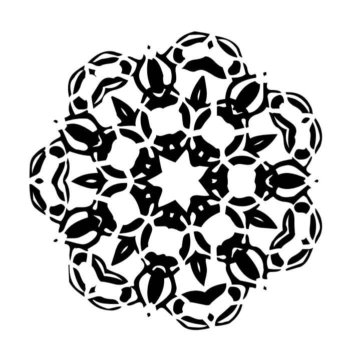
[1]. إشعيا: 2/ 4.2.

[2]. نقلا عن كيت ويتلام : **اختلاق إسرائيل القديمة** ، ترجمة سحر هنيدي ،عالم المعرفة الكويت، ص89،90.

[3]. المرجع نفسه، ص84،85.

لوط قد أعطيت ثمار ميراثا"[1]، كما قد أعطي لبني عيسوا أيضا أرضا **" لا تهجموا عليهم لأني لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم لأني لعيسوا قد أعطيت جبل سعير ميراثا"**[2].

كما سبق وأن أشرنا من قبل أن اليهود لم يلتزموا بذلك العهد عند الدخول إلى أرض فلسطين، وبدلا من ذلك عملوا على إبادة كل الذين صادفوهم سواء أكانوا من أبناء عمومتهم أو من الكنعانيين السكان الأصليين دون مراعاة لوعود أو لمواثيق إلهية أو أرضية، ولم يحافظوا إلا على الزانية التى ساعدت على حماية بعض جواسيسهم.



[1]. الثنية:9/2.

[2]. التثنية 5/2.